(٨) جدار نارى

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير الثقافة وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة داخل مكتب السيدة الأولى التي سارعت قائلة له :

- ماذا فعلت؟

قال الوزير:

- بعد بحث ومجهود غير عادي فى فرنسا وللأسف بلا فائدة .. نجحت أمس فى توقيع عقد مع بيت من بيوت الأزياء فى إيطاليا على تصميم ثلاث فساتين سهرة بتكلفة إجمالية ٥ ملايين دولار بخلاف الإكسسوارات الخاصة بكل فستان..

هزت رأسها غير راضية وهي تقول :

- فى ايطاليا ... كنت اتمنى أن اتعاون مع بيت من بيوت الأزياء الفرنسية .. ولكن من الجيد أنك تصرفت هكذا ..

ابتسم قائلاً :

- نحن رهن إشارتك يا سيدتي ..

سألته فى حيرة واضحة :

- ولكن ما السر وراء هذا الموقف الغريب من بيوت الأزياء الفرنسية..

تردد وزير الثقافة للحظات فقالت هي :

- أنت تعلم شيئاً بالتأكيد ..

أومأ الوزير برأسه وهو يقول :

- نعم يا سيدتي .. ولكني لا أريد أن أزعجك بهذا الموضوع ..

صاحت بلهجة آمرة :

- قل ما لديك ..

فقال الوزير:

- فى الحقيقة رجالي اكتشفوا السر وراء موقف بيوت الأزياء الفرنسية .. وهو أن إحدى الأميرات العربيات دفعت لهم مبالغ تتراوح بين مليار الى ثلاثة مليارت من الدولارات كي تقتصر هذه البيوت على تصميم فساتينها هي دوناً عن باقي زوجات رؤوساء العالم العربي وخاصة سيادتك..

هتفت فى غضب واضح :

- هل بلغت بهم الغيرة والحقد إلى هذا الحد ..

هز رأسه قائلاً :

- للأسف يا سيدتي .. هي تعلم مدى قوتك وحضورك القوي فى كل المحافل الدولية واحترام الجميع لسيادتك ..لذلك ليس لديها سوى تلك الخطط الرخيصة.. و....

توقف الوزير عن متابعة كلماته عندما ارتفع صوت سكرتيرها الخاص عبر جهاز الاتصال الذى يربط بينهما قائلاً :

- أعتذر يا سيدتي على إزعاجك .. ولكن وزير البترول هنا يريد أن يقابلك لأمر عاجل وهام جداً على حد قوله..

فهتفت وهى تضغط زرا خاصاً بالجهاز:

- أدخله فوراً ..

ثم التفتت الى وزير الثقافة قائلة :

- إذهب أنت الأن .. وسنكمل حديثنا فيما بعد ..

تردد الوزير للحظة ثم قال فى خفوت :

- ولكن يا سيدتي كنت أود ان أتحدث بشأن ما سمعته عما حدث أمس فى إجتماع مجلس الوزراء و.....

قاطعته فى صرامة :

- سنتحدث فيما بعد ....

تحرك وزير الثقافة صامتاً بعدما ابتلع باقي كلماته واتجه الى باب غرفة المكتب فى نفس الوقت الذى دخل فيه وزير البترول والذى بدت على ملامحه القلق والتوتر الشديدين لدرجة أنه تجاهل مرور زميله بجانبه وبعد ان تأكد من غلق باب الغرفة عليهما هتف فى خوف واضح:

- كارثة .. كارثة يا سيدتي..

سألته فى برود لا يتناسب مع إنفعاله :

- ماذا حدث؟

قال ودقات قلبه تتسارع من الانفعال :

- الشرطة البريطانية ألقت القبض على الخبراء الأربعة الذين تعاونوا معنا فى آخر صفقة..

اتسعت عيناه بشدة وهي تقول وقد انتقل توتره الى صوتها :

- كيف هذا ؟

قال:

- لا أعرف كيف .. ولكن المهم أن التحقيقات ذكرت إسمي وإسم سيادتك وإسم نجلك بصفتنا أننا قمنا ببيع أسرار تخص حقول البترول التى لدينا الى هؤلاء الخبراء الذين إستخدموا هذه المعلومات السرية فى تسهيل إرساء ٤ منقاصات على شركة بريطانية واحدة بصورة مخالفة وغير شرعية

للتنقيب عن البترول فى بلادنا ..كما ذكروا أننا حصلنا بالمقابل على مبلغ ٧٠ مليون دولار لكل منا..

إزدادت علامات القلق على ملامحها للحظات ثم حاولت أن تكون متماسكة هى تقول:

- وماذا فى ذلك .. ليس هناك دليل واحد يثبت صحة كلامهم ..

هتف الوزير:

- بالتأكيد ..ولكن مجرد ذكر أسماءنا سيؤثر علينا دولياً بصورة أو بأخرى.. خصوصاً أن الشرطة البريطانية قامت بمخاطبتي أنا ووزير الداخلية رسمياً بشأن أن نتعاون معهم ونرسل إليهم صور من جميع المستندات التى تخص تلك الشركة البريطانية وتفيد فى القضية..

نهضت من خلف مكتبها واتجهت بخطوات بطيئة الى النافذة الكبيرة التى تطل على فناء القصر ثم تقف أمامها وتنظر منها وتسأله دون أن تلتف إليه :

- من ابلغك بكل ذلك؟..

قال فى عصبية وإنفعال :

- المحامي الخاص بهم وهو يؤكد انهم معرضون للغرامة والفصل من عملهم وقد تقرر المحاكمة منعهم من مزاولة مهنتهم داخل بلادهم لفترة قد تمتد لسنوات طويلة..

إلتفتت إليه قائلة فى ثبات وحزم:

- حسنا .. ساجعل المحامي الخاص بي يتولي الأمر ..ساجعله أيضاً يسافر اليهم واي غرامة سنقوم نحن بدفعها مهما كانت اما مسألة فصلهم هذا فمن السهل استقدامهم هنا للعمل كمستشارين لدينا وباجور اضعاف ما كانوا يحصلون عليها في بلادهم..

زفر الوزير فى ارتياح واضح :

- هذا جيد .. جيد جدا.. وبالتأكيد سينال رضاهم..

تأملته للحظات ثم قالت بلهجة قوية :

- اطمئن ولا داعي لكل هذا القلق الذي يظهر علي وجهك .. حاول ان تكون متماسكا اكثر من ذلك..

أومأ برأسه ثم قال :

- وماذا بخصوص ما حدث أمس فى إجتماع مجلس الوزراء و...

قاطعته مرة أخرى وهى تلقي نظرة الى فناء القصر من خلال النافذة :

- لا تقلق بهذا الشأن .. (ثم غمغمت فى خفوت وهى تضيف) .. فرئيس مجلس الوزراء يكتب شهادة وفاته بنفسه ..

لم يسمع جملتها الأخيرة ولم يجرؤ على أن يسألها ماذا كانت تقول بينما صاحت به بلهجة آمرة دون أن تلتفت إليه :

- اذهب انت الأن ..

وبالفعل غادر سريعاً وبينما هي تتأمل فناء القصر حتى شاهدت سيارة فاخرة تأتي مسرعة لتقف أمام البوابة الرئيسية الداخلية للقصر..

كانت تعلم أن هذه السيارة تخص رئيس الوزراء..

لذلك إبتسمت ابتسامة عجيبة وهى تتمتم :

- مرحباً بك ..

فى نفس اللحظة التى صعد فيها رئيس الوزراء درجات سلم القصر واتجه فى خطوات واسعة حازمة ليعبر ردهته الرئيسية دون أن يرد تحية كل من يقابله وفى الدور الثاني للقصر وبينما يسير داخل احدى الممرات التي تؤدي الى غرفة مكتب الرئيس حتى ظهرت هي أمامه فجأة معترضة طريقه ..تسأله فى قوة :

- إلى أين أنت ذاهب؟

أجابه فى سرعة حاسمة :

- إلي الرئيس

عادت تسأله فى إقتضاب :

- لماذا؟

أطلت من عينيه نظرات تحدى واضحة وهو يجيب :

- لدي موعد معه الأن..

أعادت سؤالها بصوت بدا كفحيح الثعبان:

- لماذا؟

أجابها فى برود :

- لمناقشته في بعض الأمور الهامة..

سألته مرة أخرى ببرود مماثل:

- وما هي؟

زفر فى ضيق واضح وهو يجيب :

- أمور تخص صالح البلد والشعب..

تأملته للحظة واحدة ثم سألته :

- وهل هناك ما يمنع ان اعرفها؟

هتف هو فى غضب مكتوب :

- سيدتي .. انا رئيس الوزراء وعندي لقاء عاجل مع رئيس الجمهورية .. وأعتقد أن هذا يكفي..

ثم هم بالتحرك من أمامها إلا أنها عادت وإعترضت طريقه فى تحد مستفزقائلة:

- هل تتصور ان ما حدث أمس في اجتماع مجلس الوزراء ولقاءك مع الرئيس الان سيغير من شئ..

كان يدرك في أعماقه أن كلماتها صحيحة .. ولكنه أجاب :

- سأحاول

ثم ابتعد عنها بخطوات قليلة فصاحت به :

- محاولتك لا جدوي لها..

توقف هو وقال لها دون أن يلتفت إليها :

- علي الاقل أكون قد نلت شرف المحاولة..

عادت تهتف بلهجة متسائلة :

- وبعدها..

إلتفت إليها هذه المرة قائلاً:

- ستعلمين بعد انتهاء اللقاء..

سألته فى لهجة شبه ساخرة :

- أعلم ماذا؟

أجابها فى حسم :

- قراري النهائي..

عقدت ساعديها امام صدرها وهى تقول:

- من حسن حظك ان ابنى فى مهمة طويلة خارج البلاد .. وبالتأكيد كان سيكون له تصرف اخر معك..

قطب حاجبيه غاضبا وهو يتأملها ثم قال بصوت قوى :

- هل تعتقدين بأنى اخشاه أو تقلقنى مواجهته..

ردت بلهجة لاذعة :

- فلندع التجربة تحكم ..

تبادلا معا نظرات نارية واكتفى بالصمت وهو يتركها ويبتعد بخطوات سريعة ليواصل سيره الى مكتب الرئيس..

بينما عادت تلك الابتسامة العجيبة لتملأ وجهها ..

إبتسامة من تعلم تماماً أن نتيجة كل ما يجرى سيكون لصالحها ..

ووفق ما تخطط له ..

تماماً ..

*****